الأدب الافتراضي و الأدب الإلكتروني

د.خالد بن عميور.جامعة جيجل/الجزائر

قديما كان الأدب العربي يُتناقل بين العرب عن طريق الرواية الشـــفوية، و قد كانت الأسواق الكبرى ميدانا لتبادل السلع ...و تبادل الأشعار كذلك.(1)

فقد كانت أسواق عكاظ و ذي المجنة و ذي المجاز مهرجانات أدبية سنوية يلتقي فيها الشعراء للتبارز فيما بينهم في ميدان فنون القول و النظم(2)، فيتلقف الرواة من الأفواه القصائد و الخطب فيحفظونها ثم يذيعونها في مختلف جهات الجزيرة العربية.

ثم جاءت الكتابة، و انتشرت مع انتشار الإسلام، فغدت الأشعار و الخطب تسجل على مختلف وسائل الكتابة المتوفرة، ثم تستنسخ من طرف النساخ و الوراقين لتنـــتشر بين الناس.

و مع دخول المطبعة إلى أرض العرب أصبح الأدب ينتقل بين الناس عن طريق الكتب والدواوين و الجرائد و المجلات.

و مع بداية القرن الماضي ظهرت وسائل الإعلام الحديثة المتمثلة في الراديو والتلفزيون، وكان للأدب فيهما حصة، و إن كانت محتشمة.

أما في هذا العصر، عصر السيليكون و الدوائر المدمجة، فقد كان للأدب الجرأة والشجاعة الكافية ليخترق أسلاك الحاسب و يمر بين أجزائه المشكّلة له ليظهر على شاشته، و يتجلى على مكبرات صوته، فظهرت للأدب برامج حاسبية كثيرة، نرى أنه لا بد لنا أن نستفيد منها إلى أبعد حد ممكن. و يمكن أن نذكر من أصنافها:

1 – **المعاجم الآلية** : فقد كانت قضية البحث عن الكلمة في المعاجم مشكلة عويصة، إذ أن لكل معجم طريقته في الترتيب و بالتالي طريقته في البحث عن

الكلمات، أما الآن فمع المعاجم الآلية، يمكنك البحث عن الكلمة و شرحها في عدة معاجم في لحظة واحدة. (3)

و من أمثلة هذه المعاجم الآلية نذكر:

مكتبة المعاجم و الغريب و المصطلحات، لمركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، الأردن.

يعتبر هذا البرنامج أول برنامج يخدم هذا النوع من العلوم، يحتوي على أكثر من 60 مجلدا وكتابا ويوفر خدمات عديدة منها:

أ. خدمة البحث عبر كلمة واحدة أو عدة كلمات بشروط مختلفة.

ب. العزو إلى الجزء والصفحة في النشرات المطبوعة .

ج. خدمة النسخ والطباعة .

د. خدمة التعليق على الفقرات المختلفة .

2- الموسوعات الشعرية: ففي هذا العصر لم يعد هناك حديث عن دواوين الشعر فقط، بل عن الموسوعات المسجلة على الأقراص المدمجة (الضوئية) التي تستطيع أن تحمل مئات الآلاف من القصائد مسجلة كتابة و صوتا مع التعريف بأصحابها الشعراء. مع إمكانية البحث عن أي بيت خلال ثوان و من أمثلتها:

- المعلقات السبع : يأتي هذا البرنامج ضمن سلسلة تحفيظ المتون، حيث يعتني البرنامج بالمعلقات السبع المشهورة التي تعتبر أفضل ما قال العرب من الشعر، ويعرض البرنامج كل قصيدة بصوت مقروء مع مراعاة التشكيل.

ويتميز البرنامج بالأمور التالية:

ا- إمكانية التكرار حسب رغبة المستخدم لتأكيد الحفظ.

ب- شرح مختصر للأبيات ومعاني الكلمات.

ج- جدول تقييم الحفظ.

د- أسلوب الاختبار السماعي والكتابي للحفظ مع إعطاء نسبة مئوية.

و على سبيل المثل نذكر كذلك:

- الموسوعة الشعرية للمجمع الثقافي بأبو ظبي بالإمارات.ع.م.
- موسوعة الشعر العربي لمؤسسة العرين و آراسوفت للكمبيوتر .

3- **برامج المكتبات:** و هي برامج تحتوي على المئات من الكتب في الأدب وفنونه وعلومه. و من أمثلتها :

- مكتبة الأدب العربي: تحت إشراف مؤسسة التراث للحاسب الآلي بالأردن.
- مكتبة النحو و الصرف: من إعداد مؤسسة الخطيب للبرامج بالأردن. الإصدار الأول كان سنة1999 م.

4- **البرامج التطبيقية:** و هي البرامج التي تساعد طالب الأدب في مساره الفني و العلمي، و منها:

البرامج التعليمية: كالبرامج الخاصة بتطبيقات النحو و الصرف والبلاغة...

البرامج العملية :

كبرامج دعم الشعر Poésie assistée par ordinateur = P.A.O

حيث يمكن من خلالها لكل أحد أن يكتب ما يشاء ثم يعرض كلامه على البرنامج ليزنه له و يبين له ما يصلح لأن يكون شعرا و ما لا يصلح لذلك.

و هذا ناهيك عن خاصية التصحيح الإملائي الآلي في برامج الكتابة، كبرنامج الكلمة (Word) و برنامج المؤسسة المفتوحة (open office).

5- **الإنترنت :**

فالإنترنت في متناول يد الجميع، و يستطيع الجميع أن ينشر فيه ما يشاء. بل إن أي أحد يملك أبسط المبادئ في البرمجة يستطيع أن ينشئ لنفسه موقعا يتحكم فيه كما يشاء .

فقد أصبح للآداب مواقع كثيرة على الشبكة العنكبوتية العالمية (www)(4)

ويمكن اليوم لأي أديب أن ينشر ما يشاء على هذه الشبكة، ليطلع عليه الناس في جميع جهات العالم في بضع ثوان. و هذا دون حاجة لاستعداد مسبق أو ترتيب موعد كما كان الشأن في الإذاعة أو التلفاز.

أثر التقنية على الجوانب الفنية:

و السؤال الذي يطرح نفسه اليوم، هو: ما أثر كل هذا التطور التقني على الأدب اليوم وغدا؟

أما اليوم فنستطيع أن نقول أن هذا التطور التقني قد أحدث أثرا عجيبا في الأدب، و أعجب ما فيه أنه قد أعاد الأدب إلى سالف عهده!

كيف ذلك؟ الجواب أن هذا التطور أعاد للأدب ديمقراطيته، فقد كان الجميع يستطيع أن يصنع أدبا، وكل يدلي دلوَه في الدلاء ينهل ما يشاء من بحور الشعر و الأدب. و لم يكن هناك حجر على أحد في أن يقول أو لا يقول. المهم كان أن تقول شيئا ذا قيمة فقط، ليكون لقولك قيمة...لكن مع ظهور المطبعة أصبح القول بثمن، و لا أحد يجرؤ أن يطبع أدبا ما لشخص مغمور، و ليطبع لك ديوان أو قصة أو مسرحية أو أي لون أدبي فلا بد أن تكون أولا مشهورا! و لتكون مشهورا لا بد لك أن تكون قد طبعت أدبا ما!!! وهنا يقع الأديب في الدوامة بفعل هذا الذي يسميه المناطقة بالدور، و هناك يصاب بالدوار.

لكن التقنية الافتراضية اليوم أعادت فتح سوق عكاظ، و سوق ذي المجنة و أسواقا كثيرة أخر على مدار العام بل على مدار الساعة بل قل على مدار الزمن، يستطيع كل أديب أو شبهه أن ينشر ما يشاء على صفحات الشبكة، و بعد ذلك يتولى الجميع النقد. بكل حرية و دون حجر على أحد. فلا يكون الأديب بعد ذلك أديبا إلا إذا شهد له عموم القراء الافتراضيين بذلك، و لا يسمى الناقد بعد ذلك

ناقدا إلا إذا شهد له عموم القراء بذلك. و يمكننا أن نقول بعد ذلك: " لا يجتمع المجتمع الافتراضي على ضلالة "!

أنواع أدبية أخرى:

الأدب في الشبكة الافتراضية " الأدب الافتراضي"

هل فكر أديب ما في ابتداع صيغ أدبية جديدة من خلال شبكات الاتصال؟

قد نقترح مثلا استغلال الخاصية التفاعلية الآنية: فمما تتيحه الشبكات الافتراضية إمكانية التشارك في النص. ويراد به أن يكتب شخص بعضاً من نص في حاسوبه, فيتاح لآلاف آخرين في أنحاء شتى من العالم قراءته في اللحظة نفسها فينظرون فيه, أو يزيدون عليه, أو يمضون في نسجه, و هذه الخاصية متاحة حاليا على مستوى المواقع التشاركية كما هو الحال بالنسبة لموسوعة ويكيبيديا (5)، فهل يجرؤ الأدباء اليوم فعل ذلك؟

لقد كان هذا موجودا قديما و هو ما يسمى بالإجازة (6) في الشعر، فكان الأمير مثلا يقول بيتا أو شطرا ثم يقول للشاعر: أجز. و على قدر سرعة بديهة الشاعر تجده مباشرة يكمل البيت من عنده، أو يثني على البيت بأبيات أخر يعجز الأمير عن قول مثلها، فيكون الشاعر قد عبر عن ما في نفس الأمير بلغة الشعر. و هذه مفارقة ثانية...التقنية تعود بالأدب إلى عصر الإجازة...فهل نسميها: الإجازة الإلكترونية؟ و هل نسمي مواقعها: مواقع الإجازة الإلكترونية؟

و هنا إشكالية أخرى: لمن ننسب فضل مثل هذا الأدب؟ ألمن بدأ نصه أولا أم لمن أضاف عليه ثانيا؟

المؤكد اليوم أن أي تغيير تحدثه على نص على الشبكة فسيتم تسجيل كل شيء متعلق به: رقم الحاسوب الذي بدأه و رقم حاسوب من غيره...فكما قال أحمد

مطر من قبل: "رقم الناقة معروف"(7)، فاليوم يقال لك: رقم ال (IP)(8) معروف، فإن كنت أنت المبادر بالنص فأنت معروف، و إن كنت أنت المغيِّر فيه زيادة أو نقصا فأنت معروف، والنص محفوظ دائما بجميع مراحل تغيراته و تحولاته.

الحرية الافتراضية:

و هكذا أمكن للتقنية الحديثة أن تقضي على حاجز الخوف من القول مرة أخرى، إذ لا يعيش الأدب و لا ينمو إلا في ظل الحرية، و بعيدا عن الرقابة، فلم يبق اليوم للأديب من رقيب إلا ضميره الفني، و هذا جدير بأن يعطي للأدب دفعة قوية نحو الأمام.

لكن لا نتفاءل كثيرا، فرقم الناقة معروف... و ما قد يتخيله بعض المبتدئين من أن الشبكة الافتراضية لا رقيب عليها فهو واهم، بل واهم جدا، فكل ضغطة على زر ما في لوحة المفاتيح هي ضغطة مسجلة، و {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (9)

و لقد عادت الرقابات كما كانت من قبل، بل ربما أشد.

لكن المجتمع الافتراضي المبني في الأصل على عولمة الحرية كفيل بأن يحدث التغيير على المدى البعيد، و يفرض منطقه الحر على العالم أجمع.

بين العولمة و الانغلاق:

الأصل المتعارف عليه أن الشبكة الافتراضية قد أنشأت لنا مجتمعا جديدا هو المجتمع الافتراضي العالمي فـ " الإنترنت تعمل على تكوين ترابط تفاعلي بين الأفراد على مستوى العالم"(10)

و هذا له أثر كبير على عولمة الأدب، و هذه فرصة للأدب العربي أن ينتشر في العالم، و يعرف بنفسه، و يحجز له مكانا في نادي الأدب الافتراضي العالمي، و هذا

خصوصا مع تطور تقنية الترجمة الآلية التي تخطو باستمرار خطوات نحو الأمام، و تكاد تصل إلى مستوى الترجمة البشرية، و لعلها – مستقبلا – تصل إلى مستوى الترجمة الفنية. و هذا ما سيتيح لغير الناطقين بالعربية فهم مضامين الأدب العربي، بما يرفعه إلى مستوى العالمية.

لكن العالم الافتراضي لا يكف عن إخراج المفارقات العجيبة، فخاصية التكتل والتجمع خاصية لا تفارق الإنسان أبدا، حتى على مستوى الشبكة الافتراضية. إذ نشهد اليوم ظهور مجتمعات افتراضية محدودة، سواء بحدود جغرافية أو لغوية أو بحسب اهتمامات أفرادها. فتجد بعض الأفراد منغلقين على مجموعتهم الافتراضية، لا يبارحونها أبدا يتعصبون لها تعصب العربي القديم للقبيلة. فما زادت التقنية أمثال هؤلاء إلا انغلاقا، وتقوقعا! فمثل هؤلاء لا يمكنهم أن ينتفعوا بعولمة الأدب و الفن، و لا يرجى منهم رقي أو تفتح.

و عليه فإن التقنية لا تبني لوحدها فَناً، فالإنسان هو الذي يبني الفن، و تبقى التقنية وسيلة بيد الإنسان يرتقي بها إن شاء أو ينحط بها حيث يشاء.

و لا أظن أنه سيأتي اليوم الذي نقرأ فيه أشعارا تنظُمها هذه الآلات العجيبة من تلقاء نفسها. و لا أظن أن الآلة ستحل مكان الإنسان كما يتصور هانز مورفيتش؟(11).

الهوامش:

1- انظر أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة : الأولى، 1424 هـ 2003 م، ص:

2- انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، الطبعة الرابعة 1422هـ/ 2001م، ج:14، ص: 69.

3- انظر: محمد البدوي، المنهجية في البحوث و الدراسات الأدبية، دار المعارف، سوسة، الجمهورية التونسية، ط:/، 1998، ص:8. و ص: 68

4- (www) اختصار لـ : World Wide Web و تعني حرفيا: الشبكة العنكبوتية العلمية الواسعة. و هذا تمييزا لها عن الشبكات المحلية الضيقة. انظر مقال : " [WWW] World Wide Web " على موسوعة :

5- Microsoft Corporation, .[DVD] Microsoft® Encarta® 2009 .2008

6- http://ar.wikipedia.org

7- الإجازة في الشعر : أن تتم مصراع غيرك. انظر: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (المتوفى : 1094هـ) كتاب الكليات، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، البلد : بيروت، لبنان، 1419 هـ - 1998 م. ص: 51.أحمد مطر، لافتات، دار النشر:/، لندن، ط:2، 1987، ج:1، ص:156.*

8- IP- (Internet Protocol و هو العنوان الإلكتروني الخاص الذي تعطيه الشبكة لكل حاسوب يتصل بها، حتى تعرف المعلومات إلى أين تذهب، فلا تضل الطريق إلى حاسوب آخر لم يطلبها.

9- سورة: ق. آية 18

10- أحمد عبد الفتاح، الأدب و التقنية، من أعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي: العولمة و النظرية النقدية ، دار غريب، القاهرة، مصر، ط:1، 2003م، ص:392.

11- المرجع السابق، ص: 39